

## المساواة والمحبّة من ركائز الكيان الاجتماعي



<https://balagh.com>

على ضوء هذه الآية الكريمة، يوحى الإسلام بأنَّ الأُمَّةَ المسلمة كيان واحد، فعلى أفرادها أن يعيشوا متحابين، فيرکز النبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هذا التوحيد الفكري في مشاعرهم قائلاً: «مثُلَ المؤمنين كالجسد الواحد، إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». ومضى النبِيُّ الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى أكثر من ذلك، فشرط في إيمان الفرد أن تشارك عواطفه ومشاعره واتجاهاته الباطنة في التوفُّر على مصلحة الغير وإيشاره فقال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيُكْرِهَ لَهَا مَا يُكْرِهُ لَهَا». فعلَّ الفرد الإخلاص في التفكير والقول والعمل، حتى يوجه نشاطاته إلى الخير العام لا إلى المصالح الخاصة فيقول الحقُّ للحقِّ، ويصدق إيماناً بالصدق، ويتعاون مع الآخرين ثقة بالتعاون، حتى يعيش عضواً نابضاً، يتعاون معه الناس باطمئنان وارتياح. وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم قائلاً: (وَمَا أُمِرْتُ وَإِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقْرِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِرْءٌ لِّالْفَسَادِ) (البيعة/ 5). وهذا ما أكدَ عليه الرسول الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ» و«كُلُّ اِمْرَءٍ مَا نَوَى».

المساواة والمحبة والإخلاص، ركائز الأخلاق العامة، التي يشيد الإسلام عليها الحياة الاجتماعية والتي تنبع منها بقية الأخلاق الفاضلة، كالوفاء، والكرم، والشجاعة، والعدل، والتواضع والعفو، والغيرة والصبر، والإحسان. لذلك ينبغي الحرص على الأخوة الإسلامية التي تمثل تأسيساً للجوّ العاطفي الذي ينبغي أن يحكم المسلمين تجاه بعضهم البعض، حتى يكون تلاقيهم على القاعدة الفكرية الواحدة والقيادة الواحدة والعاطفة الواحدة التي تشدّ كيانهم وتؤازره، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَمَا مَنَّا بِيُمْكِنُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعْنَتُهُ كُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات/ 10)، حيث دعا إلى ثبيت مشاعر الأخوة بين المسلمين وإصلاحها كلما تعرضت لهزات داخلية، والحرص الدائم على التذكير بها، وينبغي أن تتحرك في الحاضر من خلال قواعدها المتينة المبنية على حبٍّ: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْسَفَ بَيْنَنَّ قُلُوبِكُمْ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) (آل عمران/ 103). أيضاً يجب التحذير من الاختلاف الذي يؤدي إلى التمزق والتخريب وهذا ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى بقوله: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ كُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَرَأَتْ رَبَّكُمْ فَاتَّقُونَ \* فَتَفَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّهُمْ حَرَبٌ بِرِيمًا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (المؤمنون/ 52-53)، (وَلَا تَكُونُوا كَاللَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران/ 105)، (وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنْذَرْ شَلُوْوا وَتَذَهَّبُوا رِيحُكُمْ) (الأనفال/ 46).

وبذلك يمكن تحقيق الغاية الكبرى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ كُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَرَأَتْ رَبَّكُمْ فَأَءَبُدُونَ) (الأنبياء/ 92). فوحدة القرآن هي وحدة قائمة على المحبة والمودة والأخلاق والعدالة ولا يمكن لرابط كالدين أن يبعث على وحدة من هذا القبيل فالوحدة القائمة على الدين هي وحدة نابعة من القلب وهي ليست وحدة مصالح ووحدة إرغام بل هي وحدة نابعة من قلوب واعية مدركة داعية الله تعالى تبتغي رضاه. والإسلام حينما يدعو الناس إلى الوحدة فيما بينهم يراعي في ذلك الواقع الإنساني فيوفر له المساحة التي يتحرك بها بطاقةه وإبداعاته المتوازنة فهو بذلك يضمن عدم حدوث خلل في صميم الكيان الاجتماعي.

